

الملاحه البحرية في الحضارة العربية الإسلامية - مقارنة تاريخية -

الأستاذ: حمداووين عمر
قسم الحضارة الإسلامية
جامعة وهران

إن موضوع مقالنا هذا يأتي في سياق تاريخي محض؛ حيث تسرد ممارسة الملاحة البحرية عند الأمم السابقة، مروراً على العرب قبل الإسلام، فوصولاً عند الحضارة الإسلامية والدور الفعال الذي لعبه الملاحون العرب ومقدرتهم على منافسة جيرانهم من الحضارات السابقة.

ومن الأهمية بمكان أن يقع اختيارنا على هذا الموضوع من باب أنه جزء من تراثنا العربي الإسلامي أولاً، وأن مشاهير رواده هم العرب أنفسهم. ولذا كان تأثير الغرب واضحاً بشتى مجالات الحضارة العربية الإسلامية من جملتها علم البحار أو الملاحة العربية.

علم البحار عند الأمم السابقة:

قبل الحديث عن تاريخ علم البحار عند الأمم السابقة: كالفينيقيين واليونانيين لا بد من الإشارة إلى أن أول وأقدم استعمال للبحر والرحلة البحرية في التاريخ هي الرحلة البحرية التي قام بها سيدنا نوح عليه السلام حينما أمره الله سبحانه وتعالى ببناء سفينة لينجو ومن معه من الطوفان الكبير. بقوله: "وَأَصْنَعِ الْفُلَّكَ يَا عِيسَى وَوَحَيْنَا وَلَنَا نَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ".¹

أ. عند الفينيقيين

لقد كان نشاط الفينيقيين ببلاد الشام (أراضي لبنان) منذ قرون عديدة قبل الميلاد واضحاً؛ حيث تجسد نشاطهم أساساً في تلك المعاملات البحرية الأسطولية والتجارية، فقد كانت لهم ميزة أساسية تميزهم عن غيرهم من الأمم المجاورة وهي ميزة الاحتفاظ بأسرار اكتشافاتهم في هذا المجال تجنباً وحيلة من منافسيهم من اليونانيين خلال تلك الفترة. ومما يذكرهم بعض المؤرخين أن اليونانيين حفظوا ذلك في بعض

¹ سورة هود، الآية: 37.

سجلاتهم من أنهم قاموا بتأسيس مدينة قرطاجنة بتونس؛ حيث قام أحد قاداتهم برحلة بحرية كبيرة من شمال إفريقيا إلى اتجاه الغرب ثم السير باتجاه الجنوب بمحاذاة ساحل قارة إفريقيا حتى وصلوا جزر الرأس الأخضر..

ويذكر المؤرخ اليوناني "هيرودوت" أن أحد ملوك الأسرة الفرعونية ويدعى الملك "تخاو" حيث أرسل هذا الأخير فرقة من البحارة الفينيقيين ضمن رحلة بحرية استكشافية للدوران حول إفريقيا. وقد كللت هذه الرحلة التي دامت ثلاث سنوات بالنجاح؛ واستطاعت من تحقيق هدفها حيث تم خلالها اكتشافات بعض الأثرية كحطام بعض السفن القديمة¹.

بد عند اليونانيين

لقد كانت المنافسة الشديدة بين أعظم وأكبر الحضارتين قبل الإسلام آنذاك، والمتجسدة أساسا في الفينيقيين واليونانيين إلى ازدياد وتيرة التقدم والمعرفة البحرية والاكتشافات؛ مما يدل على نبوغ فكري ومعرفي قاده عباقرة وعلماء في مجال المعرفة البحرية. نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

فهذا العالم "فيثاغورس" الذي جاء بفكرة كروية الأرض، في حين جاء الفيلسوف "أفلاطون" بفكرة القارة المفقودة "أطلانطيس"، ليثبت بعدها "أرسطو" كروية الأرض وفق معادلات رياضية مبنية أساسا على دراسة علم الفلك. كما قام اليونانيون بكثير من الرحلات في أماكن مختلفة استفادوا من المعلومات الجغرافية والتجارية. ومن أشهر البحارة اليونانيين "يود وكوس" الذي ظل طريقه أثناء رحلته؛ حيث استدارت سفينته جنوبا إلى طرف القرن الإفريقي، أين عثر على حطام سفينة إسبانية ظنا منه أنه اكتشف إمكانية الدوران حول أفريقيا، غير أنه لم يفلح. غير أنها تبقى رؤية استكشافية تحث على المزيد من البحث والاكتشاف البحري.

أما عن صلة بلاد العرب الملاحية بالهند قبل العصر اليوناني فنقول المصادر الأجنبية إنها لم تكن قيمة. بل يقال أيضا أن الملاحية قد ازدهرت في المنطقة العربية بعد الفتح المقدوني وقويت الصلة بين موانئ البحر الأحمر وموانئ الخليج العربية من جهة وبين السواحل الهندية من جهة أخرى. ومن المدهش أنه على الرغم من الفتح

(1) صقليه واسبانيا.

المقدوني لتلك الأماكن ووقعها تحت سيطرة البطالسة بعد اليونان لمدة طويلة إلا أن عرب الجنوب كانوا هم المسيطرون على التجارة البحرية مع الهند طول الوقت. ويضيف المؤرخ اليوناني "أجاثاركيدس Agatharchides" عرب سبأ بأنهم ملاحون مهرة ومحاربون أشداء" يبحرون في سفن كبيرة للبلاد التي تنتج العطور وكانت لهم فيها مستعمرات يستوردون منها نوعا من المطر لا يوجد في جهة أخرى". وجدير بالذكر أيضا أن عرب الجنوب من حضارمة وحميريين وعمانيين لم يقتصرُوا في تجارتهم البحرية مع الهند بل أيضا مع القرن الإفريقي وساحل إفريقيا الشرقي وجزر الملايو واندونيسيا وكانت لهم جاليات فيها وصلات قوية بأهل تلك البلاد.

ولما كانت الملاحة عبر المحيط الهندي تتعذر على من يجهل سر الرياح الموسمية ففي هذا المحيط فمن المؤكد أن عرب الجنوب قد عرفوا هذا السر وتوارثه ملاحوهم جيلا بعد جيل وعندهم عرف اليونان القدامى هذا السر، أما الرومان فقد جهلوه في مبدأ حكمهم، إلى أن اكتشف أول دليل ملاحى¹ عن البحر الأحمر والمحيط الهندي عرف باسم بريبلوس Peripus² الذي يمكن ترجمته بالعربية تحت اسم "المراحل الملاحية للبحر الأحمر" وقد كتبه مؤلف يوناني مجهول عاش في مصر في المائة الأولى بعد الميلاد.

ومما يمكن الإشارة إليه هو أن مدرسة الإسكندرية كان لها الباع الطويل في نشر المعرفة عموما وازدهار بعض العلوم التي لها صلة بالمعرفة البحرية كالعلوم الرياضية والطبيعية والفلك على أيدي علماء من أمثال بطليموس وأرخميدس، كما عرف مهندسون برعوا وتخصصوا في تخطيط الموانئ ورسم الخرائط.

وتظهر مساهمة مدرسة الإسكندرية في مجال الملاحة البحرية بشكل جلي من خلال تصدرها لثلاثة أعمال تعكس بحق المساهمات الفعلية خلال العصر الهليني (اليوناني البطلمي بمصر). العمل الأول يتمثل في اختراع آلة لقياس ارتفاع الأجرام السماوية يدعى الإسطرلاب، والثاني

1) وفي هذا الدليل ملاحظات عن الرياح والأمواج والشعب المرجانية، وما يتعلق بتجارة العرب وكذلك عن التيارات البحرية الموسمية في المحيط الهندي. كما يرد فيه أسماء الموانئ مثل موزا Muza وهي مخا إحدى قرى اليمن، بالإضافة إلى ميناء عدن وعمانا وأيلة القريبة من السويس أو بحر قلزم قديما، كما يرد فيه ذكر ملاح يوناني قديم يدعى هيبالوس.

2) Periplus maris erythraei in C. Muller's Geogr. Graeci Minores. Vol.1

تقدير محيط الأرض¹ على يد الجغرافي السكندري "أر أتوسطين" حوالي عام 225 ق.م، ليتبعها فيما بعد إمكانية قياس خطوط الطول والعرض وتقدير أبعاد الأرض. أما الأثر الثالث فيتمثل في كتاب المجسطي "Almagest" في مجال الجغرافيا لبطليموس.

ج- عند العرب:

1- قبل الإسلام:

يرجع رخاء العرب وراثتهم قبل ظهور الإسلام إلى حفاظهم على سر الرياح الموسمية² التي عرفها الرحالة اليوناني "هيبالوس" والتي تتمثل في رحلة الشتاء والصيف عند العرب والتي ذكرها القرآن الكريم. فقد كان البحارة العرب ينتظرون موعد قدوم الرياح القوية من الشمال لتدفع مراكبهم الشراعية باتجاه الجنوب من البحر الأحمر إلى الهند وشرق آسيا ثم الانتظار لحين موعد الرياح المعاكسة لتعود بهم إلى ديارهم.

وقد كان البحارة العرب على معرفة جيدة بطبيعة البحار سواء في قيادة سفنهم للرحلات الطويلة أو الأحوال المناخية المتقلبة والموسمية وكانوا يستعملون (الدليل البحري) ويسمى الرهمانى أو الرحمانى ويسمى أيضا دفتر الإرشاد البحري وكانوا يستعملون تقويما خاصا بالبحارة يسمى (النيروز) وكانوا يحسبون طلوع المنازل ومواسم الرياح وأوقات الأسفار وسرعة مراكبهم والمسافة وطرق تمييز الجزر والوقت المتوقع لوصولهم.

ولقد استطاع العرب أن يسيروا رحلاتهم البحرية بانتظام من شبة الجزيرة العربية إلى الهند وشرق آسيا وصولا إلى الصين؛ وهذا ما يثبت المؤرخون من وجود جاليات من أصل عربي تعيش هناك منذ زمن بعيد.

وقد استغل الملاحون العرب فرصة معرفتهم لسر الرياح الموسمية ووظفوها أيما توظيف، كما استغلوا البحر وحركة الملاح في المحيط الهندي؛ كما تذكر كتب التاريخ أن الشواطئ البحرية جنوب الجزيرة

1) يتم تقدير محيط الأرض عن طريق رصد الأعمدة والمسلات وقت الظهيرة في أطول يوم في السنة 21 يونيو في مكانين في وقت واحد أولهما بالإسكندرية والآخر عند أسوان وقياس زاوية الظل والمسافة بين الموقعين أمكن تقدير محيط الكرة الأرضية بما يعادل 40.000 كلم بحسابنا اليوم. ينظر: أنور عبد العليم، الملاح وعلم البحار عند العرب، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1979، ع13، ص: 19.

2) هذه الرياح لها موسم خاص، فتهب بانتظام مدة ستة أشهر من الشرق إلى الغرب، ثم تعكس اتجاهها مدة ستة أشهر أخرى.

العربية كانت ولفترة طويلة وحتى القرن الأول الميلادي تزدحم بأرباب السفن والملاحين العرب، وكان يسكن هذه الشواطئ قبيلة "حمير" التي عرف أبناءها في هذا القرن بنشاطهم البحري، ويحدثنا التاريخ بأن الحبشة أسسها عرب الجنوب الذين حكموا "الصومال" ومجاورها وأن "رنجبار" كان يحكمها سلطان عربي.

ومما يمكن الإشارة إليه هو أن دور العرب في البداية لم يكن واضحاً بسبب أنهم لم يبرعوا في ركوب البحر قبل الإسلام، باستثناء أهل حمير وأهل سبأ في اليمن. فقد خاف العرب في الجزيرة العربية ركوب البحر، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى امتداد جبال الحجاز التي تفصل بينهم وبين البحر. وهناك من يقول: "إن العرب لبدأتهم لم يكونوا أول الأمر مهرة في ثقافة البحر وركوبه والروم والفرنجة لممارستهم أحواله ومزاياهم في التغلب على أعواده مرنوا عليه وأحكموا الدراية بثقافته".¹ غير أن هناك من يكمل مقالة ابن خلدون يرى الدور الفعال الذي لعبه العرب في مجال الملاحة البحرية خصوصاً ما تعلق الأمر منها بفكرة الأساطيل البحرية التي أنشأها العرب فيما بعد. "قلما تكررت ممارستهم للبحر وثقافته استحدثوا بصراء به فشرهوا إلى الجهاد فيه وأنشأوا السفن وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر..."² وهذا ما سنتطرق إليه مع مجيء الإسلام وازدهار الحضارة العربية الإسلامية.

2- مجيء الإسلام:

لقد نشأت الحضارة الإسلامية العربية في الجزيرة العربية في أواخر القرن السادس الميلادي، فأثرت وتأثرت بالحضارات المجاورة لها كالحضارة الفارسية واليونانية والهندية وغيرها. وبعد انتشار رقعة دولة الإسلام وبلوغها شواطئ البحار، وبسط سيطرتها على جزر البحر الأبيض المتوسط، وتعدد معاملات النشاط التجاري وازدهارها، كانت الحاجة مدعاة إلى بناء أسطول إسلامي مؤهل يلبي تلك الحاجة والمنحصرة أساساً في نقل البضائع والحجاج والمسافرين، وقدرته على

1) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، مطبعة الكشاف، بيروت، ص: 253. انظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ السلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 7، 1964، ج1، ص: 48 وانظر: صبحي الصالح، النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، ط1965، ص: 512 وكذلك حسن، المصدر السابق، ج1، ط7، ص: 483.

2) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص: 253.

حماية ثغور الإسلام من أي اعتداء أجنبي يهدد كيائها واستقرارها، ومن ثم المحافظة على أمن الملاحة البحرية وحرية تنقل البضائع والمسافرين وسلامتهم من أيدي القراصنة.

ولبلوغ هذا الغرض شجّر المسلمون دور الصناعة، وكان الخليفة الراشد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) أول من أمر بتشديد دار لصناعة السفن، كما أنشأ المسلمون في جزيرة صقلية داراً لصناعة السفن في عهد الأغالية، وكانت أهم دور الصناعة في بلاد الشام وصور، وطرابلس الغرب، وحيفا، بسبب كثرة الأخشاب الصالحة لبناء السفن في جبال لبنان، وجلبوا خشب الساج من الهند واليمن، والحبشة، والسودان، واستوردوه من البندقية، ونقلوا خشب الأرز والصنوبر، والحديد، والقطران من الأماكن البعيدة، وصنعوا من القطن والكتان حبال السفن، وادّخروا تلك المواد في خزائن السلاح السلطانية، وأنشأ الأيوبيون ديوان الأسطول، ورثب المسلمون الصوائف والشواطئ لغزو الروم بحراً. كما تكمن أهمية الملاحة البحرية في:

حماية الثغور:

وقد فكر المسلمون في حماية سفنهم من الأعاصير أو الاعتداء الأجنبي فراحوا ينشئون الموانئ لرسو سفنهم، وتزويّد مداخلها بالأقفال، وهي سلاسل من حديد تشدّ عند مداخل الموانئ لمنع دخول السفن المعادية، ودرءاً لمخاطر القراصنة، كما زوّدوا تلك الموانئ بمناورات لتكون بمثابة مرشد أو دليل يهدي السفن إليها، وكثيراً ما كانت القلاع تبنى بجوارها، حماية لها من الأعداء المغيرين.

وفي هذا الصدد يقول صاحب "البيان المغرب" أن المجوس "النورمان" لما حاولوا الإغارة على مدن ساحل الأندلس الغربي، وجدوا البحر محروساً، ومراكب المسلمين معدّة، تجري من حائط إفرنجة، إلى حائط جليقية في الغرب الأقصى.

فضل المسلمين في مجال الملاحة البحرية:

يظهر مدى اهتمام المسلمين واهتمامهم بوضوح في مجال الملاحة البحرية في قيامهم بتحسين صناعة السفن الحربية، وجعلها مسابقة ومواكبة لتحديات تلك الفترة من الزمن، فظهرت منها أنواع متعدّدة ذات أشكال مختلفة، انتقلت أسماؤها العربية إلى لغاتهم، ولا تزال باقية فيها حتى الآن،

حيث بنوا دور الصناعة¹ على سواحل البحار وشواطئ الأنهار، فاستوعبوا هذا الفن، واشتهرت دور الصناعة في عكا، وصور، وطرابلس، وببيروت، وحيفا، واتخذ حسان بن النعمان مثلاً في تونس داراً لإنشاء الآلات البحرية، وتطوّرت صناعة السفن في جزيرة الروضة والفسطاط، وعيذاب على البحر الأحمر، ودمياط على شاطئ النيل.

وفي عهد المماليك كان اهتمام السلاطين بصناعة السفن النهرية (النيلية) بالغاً؛ لاسيما السفن البحرية التجارية منها والحربية بدرجة كبيرة، فأبدعوا وطوّروا وشيّدوا دوراً صناعية جديدة، ومما اشتهر في عهدهم: دار صناعة الفسطاط، ودار صناعة الإسكندرية، ودار صناعة دمياط، ودار صناعة بيروت.

أهمية الأسطول² الإسلامي:

لقد استخدم المسلمون في حروبهم البحرية الأسلحة البرية عند الرسو في أرض العدو، هذا فضلاً عن الكلايب التي تلقى على مراكب العدو عند الاقتراب منه، ويشدون بها سفنهم إليهم ويرمون عليها الألواح ليعبروا عليها كالجسر، والباسليقات وهي سلاسل في رؤوسها رمانة حديد، والنار الرومانية وهي مزيج من الكبريت وبعض الدهون، على شكل سائل يطلقونه مشتعلاً من أسطوانات نحاسية.³ ومما يمكن الإشارة إليه هو أن العلاء بن الحضرمي عامل الخليفة عمر بن الخطاب على البحرين، أول من غزا في البحر في الإسلام، عندما جهز أسطولاً إسلامياً نزل به سواحل فارس سنة 17 هجرية.

كما تعتبر معركة ذات السواري إحدى أشهر الحملات البحرية الإسلامية المظفّرة للأسطول الإسلامي، وكانت قد وقعت في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان "رضي الله عنه" سنة 34هـ/655م واشترك فيها أسطول الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان وأسطول مصر بقيادة عبد الله بن أبي السرح وأسطول الروم بقيادة ملكهم "قسطنطين بن هرقل" وكان أسطوله يضم ستمائة قطعة بحرية أو ألف سفينة، اقتتل الفريقان أشد القتال، فوق السفن المربوطة مع بعضها، وكانت الغلبة فيها والغنيمة للمسلمين على الروم، وكان من نتائجها:

1) ترسانات البحرية لصناعة السفن يطلق عليها دور الصناعة.

2) كان الأسطول يتكون من عدة أنواع من السفن مختلفة الحجم ولكل نوع وظيفة. فالشونة كانت حاملات للجنود، والأسلحة الثقيلة.

3) عطية القوصي، الحضارة الإسلامية، ص: 77.

اكتشاف أهمية الأسطول العربي، وزيادة العناية بصناعة السفن، وإشعار بيزنطة بأنّ عاصمتها مهدّدة بالأسطول الإسلامي. وتكمن أهمية الأسطول الإسلامي في حماية ثغور الإسلام من الأساطيل المغيرة المعادية، وسيطرتها على الشواطئ، وجعل البحر المتوسط والبحر الأحمر مجال عربي واحد، بعد أن كان البحر الأبيض المتوسط تحت السيطرة الرومانية، وفرض الأمن في البحر، وضرب على أيدي القراصنة، الذين كانوا يغيرون على السفن فيحرّقونها، أو ينهبون حمولتها من البضائع، ويسبون بحارتها وركابها، ويبيعونهم في أسواق الرقيق الأوروبية، وأعاد المسلمون تجارة المتوسط إلى سابق عهدها كطريق رئيسي للتجارة العالمية، وحرّروا أوروبا من سيطرة الدولة البيزنطية.

ولم يقتصر نفوذ المسلمين على شواطئ البحر الأبيض المتوسط، بل تعداه إلى أهم الجزر فيه، حيث افتتح الأسطول الإسلامي جزر: قبرص، وكريت، وصقلية، ورودس، ومالطة، وكورسيكا، وسردينيا، وميورقة ومنورقة، وجزر البحر الأحمر. كما عمد المسلمون إلى تنظيم أمور الجهاد فراحوا يغيرون صيفا على ثغور الروم، في حوض البحر الأبيض المتوسط لتبيان مدى استعداد الأسطول الإسلامي في أي لحظة لردع أي غزو أجنبي أو أي تمرد يمكن أن يحصل.

وقد كانت سفن العرب تبحر في القرن التاسع بانتظام إلى ميناء كانتون في الصين، وجاوه وسومطره وسيلان "سرنديب" والهند؛ واتخذ التجار العرب مركزاً في الهند على مقربة من بمباي في مدينة كله، وجعلوا منها قاعدة لتجارهم، وقد عرف التجار العرب والملاحون ساحل أفريقية الشرقي ووصلوا إلى جزيرة مدغشقر، وكانت متاجر بغداد الكبرى تستورد الحرير من الصين، والتوابل والبهارات والعطور من الهند، والأخشاب الاستوائية وجوز الهند والرصاص من السند، وكانت سفن العرب تبحر من بغداد والبصرة، ويصل بعضها إلى البحر الأحمر وميناء القلزم "ميناء السويس الحالي" وغيره من الموانئ.¹

ولم يتوقف نشاط المسلمين البحري في عهد العباسيين، والطولونيين، والإخشيديين، والفاطميين، والأيوبيين، والمماليك، والعثمانيين، ولم تتوقف دور الصناعة عن بناء السفن، وشحنها بالسلاح والرجال، لكن هذا النشاط كان يمر بمراحل ضعف قصيرة، ثم لا يأبه أن يعود

1) جون باجوت جلوب، إمبراطورية العرب، ص: 610.

ليستأنف دوره المجيد في حماية دار الإسلام، وردع محاولات التسلل إلى ديار المسلمين. وفي عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاول وصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط حيث تمكن من ذلك في ظرف قياسي وبإمكانيات محدودة ودون استئانة مال.¹

وذكر المسعودي والمقريزي وغيرهما من المؤرخين أن الرشيد العباسي كان يرى فتح البحر عند السويس، حتى يقرب المجال بين المغرب وأطراف العراق، ويربط سواحل البحر الرومي والشام بعاصمة الخلافة، وكان يروم حمل خيراتها على المراكب إلى المشرق. فهو القائل عن الغمامة: "أذهبي أي شئت يأتييني خراجك". وخلال الدولة العثمانية كانت هناك محاولات لربط بحر الروم بالخليج، فقد عمد السلطان العثماني مصطفى الثالث ابن أحمد الثالث وكان ميثالاً للإصلاح محباً لتقدم بلاده أنه فكر في طريقة.²

علم البحار والملاحة البحرية في كتب الجغرافيين العرب:

وفي علوم الملاحة وعلوم البحار كتب الجغرافيون المسلمون كتبهم. فضمنوها وصفاً دقيقاً لخطوط الملاحة البحرية، كما وضعوا فيها سجلات تفصيلية لكل المعارك الإسلامية البحرية، ثم وصفوا فيها البحار والتيارات المائية والهوائية، ومن أشهر الجغرافيين العرب المسعودي والمقدسي وياقوت الحموي والبكري والشريف الإدريسي ومن الرحالة ابن جبير وابن بطوطة. وهناك كتب ابن ماجد في علوم البحار مثل كتاب "الفوائد في أصول علم البحر والقواعد" وأرجوزته بعنوان "حاوية الاختصار في أصول علم البحار" وهناك مخطوط باسم سليمان المهري عنوانه "المنهاج الفاخر في العلم البحري الزاخر: والعمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية".

- كما ورد في كتاب "البيروني" أوصاف للبحار الشمالية المتجمدة والكائنات البحرية.

1) قال القضاعي أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاص عام الرمادة بحفر الخليج الذي في حاشية القسطنطين فساقه من النيل إلى بحر القلزم فلم يأت عليه الحول حتى سارت فيه السفن وحمل فيه ما أراد من الطعام إلى مكة والمدينة فتقع الله بذلك أمل الحرمين فسمي خليج أمير المؤمنين، وذكر الكندي أنه حفر في سنة 32 هجرية وفرغ منه في ستة أشهر وجرت فيه السفن ووصلت إلى الحجاز في الشهر السابع. أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص: 39.

2) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية، ج 1، ص: 329.

- في القرن العاشر قاما كل من "البستاني والمسعودي" بعمل خرائط بحرية عن البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي وكانت خرائط المسعودي اقرب إلى الواقع.

- وجاء المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين نشأ في بغداد المتوفى عام 346هـ) ليضع كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر" ويتعرض فيه لبعض المعلومات الجغرافية كاستدارة الأرض وإحاطتها بغلاف جوي وشرح لظاهرة المد والجزر وطبيعة العواصف في الخليج العربي ودورة الماء في الكون وجزريان الأنهار وتراكم الأملاح في البحر ووصف المسعودي أيضاً البراكين الكبريتية. كما وصف الحيوانات البحرية مثل الحوت.

- أما ابن خلدون (ولد في تونس سنة 732هـ وتوفي في القاهرة سنة 808هـ) فتحدث في "مقدمته" مقدمة ابن خلدون عن البحار والأنهار وذكر الأقاليم الجغرافية السبعة. وناقش علاقة اليابسة بالماء وقال بأن مركز ثقل الأرض موجود بباطنها...

- ابن فقيه في كتاب البلدان (تأليف 279 ق.): اطلق عليها الاسم: بحر فارس

- ابن رسته في كتاب الاعلاق النفيسة (تأليف 290 ق.): سمها بالخليج الفارسي

- السهراب (قرن ثالث هجري) في كتاب العجايب الاقاليم السبعة: ت= بحر فارس

- ابن خردادبه (300 ق.) في كتاب المسالك الممالك: ت= بحر فارس

- بزرگ بن شهريار في كتاب العجايب الهند (تأليف 342 ق.): بحر فارس

- الاصطخرى (346 ق.) في الكتاب المسالك الممالك: بحر فارس

- الاصطخرى في كتاب الاقاليم: بحر فارس

- المسعودي (346 ق.) في كتاب المروج الذهب: بحر فارس

- المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف: بحر الفارس

- ابن مطهر في كتاب البدء والتاريخ (تأليف 355 ق.): خليج الفارس

- ابوريحان بيروني (440 ق.) في كتاب التفهيم:

بحر پارس - دریای پارس

- ابوريحان بيروني في كتاب قانون المسعودي: دریای فارس

- ابوريحان بيروني في كتاب تحديد نهايات الامانى: بحر فارس

- ابن حوقل في كتاب صورة الارض (تأليف 367 ق.):
بحر فارس
- مؤلف الحدود العالم من المشرق الى المغرب (تأليف 372 ق.):
خليج فارس — دريای پارس.
- المقدسي في كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (تأليف 375 ق.):
بحر فارس
- محمد بن نجيب في كتاب جهان نامه (تأليف قرن چهارم):
بحر
پارس
- ابن بلخي في كتاب فارسنامه (تأليف حدود 500 ق.):
بحر فارس
- طاهر مروزي في كتاب الطبائع الحيوان (تأليف حدود 514 ق.):
الخليج الفارس
- الشريف الادريسي (560 ق.) في كتاب النزهة المشتاق: بحر
فارس
- ياقوت الحموي (626 ق.) في كتاب المعجم البلدان: بحر فارس
- زكريا قزويني (682 ق.) في كتاب آثار البلاد: بحر فارس
- زكريا قزويني في كتاب العجايب المخلوقات: بحر فارس
- الانصاري الدمشقي (727 ق.) في كتاب النخبة الدهر: بحر فارس
- أبو الفداء (732 ق.) في كتاب التقويم البلدان: بحر فارس
- شهاب الدين احمد نويري (733 ق.) في كتاب نهاية الارب: خليج
فارس
- حمد الله مستوفي قزويني (740 ق.) في كتاب النزهة القلوب: بحر
فارس
- ابو حفص ابن الوردي (749 ق.) في كتاب خريده العجايب: بحر
فارس
- ابن بطوطه (777 ق.) في الكتاب مشهور الرحلة ابن بطوطه:
بحر فارس
- الفلقشندی (درگذشته 821 ق.) في كتاب صبح الاعشى: بحر
فارس
- حاجي خليفة (1067 ق.) في كتاب جهان نما (تركي): بحر فارس
- شمس الدين محمد سامي في قاموس الأعلام (قرن سيزدهم
هجري): خليج بصره
- البستاني في دائرة المعارف البستاني (طبع 1883 م.): الخليج
العجمي

- كما أصدرت تركيا عام 1864م أيام الإمبراطورية العثمانية أول مجموعة قانونية تتضمن وأعد القانون البحري مستوحاة من الشريعة الإسلامية ويعتبر أكثر إنسانية من القانون البحري العالمي لان الفقهاء المسلمين فرضوا الالتزام بالمساعدة لأي سفينة معرضة للخطر على العكس من القانون البحري المعاصر الذي يسمح بالمساعدة مقابل المطالبة بمبالغ هائلة هذا البند يجعل من قادة السفن لا يطلبون المساعدة من السفن الأخرى إلا بعد استنفاد جميع المحاولات مما يؤدي إلى سوء الحالة.

- "كتاب البحرية" للأميرال العثماني محي الدين الرايس وصف فيه خرائط تفصيلية للبحر الأبيض المتوسط وكان ذلك سنة 1554م.

- أما الأميرال العثماني الكابتن سيد علي بكتابة "كتاب المحيط" وصف فيه المحيط الهندي وكان ذلك سنة 1562م.

- كتاب الملاح الكويتي عيسى القطاني سمّاه دليل المحتار في علم البحار شرح فيه عن الملاحة والغوص وتجارة اللؤلؤ وبعض العادات والتقاليد في الخليج العربي وكان ذلك سنة 1915م.

ومن الكتب المطبوعة التي عالجت الموضوع نفسه نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- آثار البلاد وأخبار العباد - تأليف أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود القزويني - طبع بيروت 1960.

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - تأليف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبو بكر الشامي مقدسي، المعروف بالبشاري، - ليدن 1960 (يطلب من مكتبة المثنى ببغداد).

- الإغلاق النفيسة - تأليف أبو علي أحمد بن عمر، معروف به ابن رسته، طبع ليدن 1981 ميلادي.

- خريدة العجائب وفريدة الغرائب - تأليف أبو حفص زيد الدين عمر مظفر، المعروف ابن الوردي - چاپ قاهره 1303هـ.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء - أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي. القاهرة 1913.

- صورة الأرض، تأليف أبو القاسم محمد بن حوقل، ليدن 1938م.

- طبائع الحيوان - تأليف شرف الزمان طاهر مروزي - طبع لندن 1942.

- عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية المعمارة - تأليف سهراب - وين 1929.

- العراق — تأليف سيد عبد الرزاق الحسني — صيدا 1956.
- علم الخرائط — تأليف محمد عبد الكريم صبحي، القاهرة 1966.
- قاموس الأعلام — تأليف شمس الدين محمد سامي، استانبول 1306هـ.
- قانون المسعودي — تأليف أبو ریحان البيروني الخوارزمي، حيدر آباد دکن 1955.
- لطائف اللغات — عبد اللطيف بن عبد الله — نسخة خطي.
- مختصر البلدان — أبو بكر أحمد بن محمد، معروف به ابن الفقيه (279 هجري)، ليدن (1885) يطلب من مكتبة المثنى ببغداد).
- مرصد الاطلاع — علي محمد البجاوي — طبع 1954 ج1.
- المسالك والممالك — أبو اسحق إبراهيم الاصطخري، ليدن 1889.
- الموسوعة العربية الميسرة — تأليف صبحي عبد الكريم، ترجمه الى العربية محمد شفيق غربال، القاهرة 1965.
- تطور الخط العربي — تأليف ناجي زيد الدين — طبع بغداد 1968.
- معجم البلدان شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله حموي رومي، القاهرة 1906.
- المنجد (معجم)، — بيروت 1966.
- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر — نوشتة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي الصوفي — چاپ لايزيك 1923.
- نزهة القلوب — حمد الله بن أحمد بن أبي بكر مستوفي قزويني — 1928.
- نزهة المشتاق — أبو عبد الله، محمد بن عبد الله المعروف بالشریف الإدريسي، ط 1878.
- نهاية الأرب في فنون الأدب — تأليف شهاب الدين أحمد عبد الوهاب النويري — القاهرة 1923.

ومن أشهر البحارة العرب هم:

- الملاح "سليمان التاجر" الذي يعتبر من المصادر الهامة في المعرفة الجغرافية والتاريخية لبحار آسيا ويرى كثيرون إن قصة "السندباد البحري" ما هي إلا نسج للأوصاف هذا الملاح العربي في القرن التاسع ميلادي.

- الملاح العربي "أحمد ابن ماجد"¹ الذي سجل عددا كبيرا من الكتب في القرن الخامس عشر بعد القيام برحلات واسعة في البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي ولقد لمع اسم أحمد ابن ماجد والبحار "سليمان المهري" في الأوساط العلمية الغربية بعد عثور المستشرق الفرنسي "جبريل فيران" على مخطوطات ومؤلفات في علم الملاحة.

خاتمة

ونختم قولنا بمقولة أحد القلة القليلة من علماء الغرب الذين اعترفوا بفضل العلماء العرب، على الحضارة الغربية وهي المستشرقة "رغريد هونكه" مؤلفة كتاب "شمس العرب تسطع على الغرب" حيث تقول: "لقد شاء الله أن يظهر من الأوربيين من يناهز بالحقيقة ولا يغط العرب حقهم، في أنهم حملوا رسالة عالمية، وأدوا خدمة إنسانية للثقافة البشرية قديما وحديثا. إن هذا النفر من الأوربيين المنصفين، لا يأبه من تحدي المتعصبين الذين حاولوا جهد طاقتهم طمس معالم هذه الحضارة العربية والتقليل من شأنها".

"إن أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية. وإن الدين الذي في عنق أوروبا وسائر القارات الأخرى للعرب كبير جداً، وكان يجب على أوروبا أن تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد، ولكن التعصب واختلاف العقائد أعمى عيوننا، وترك عليها غشاوة حتى إننا نقرأ ثمانية وتسعين كتاباً من مائة، فلا نجد فيها إشارة إلى فضل العرب وما أسدوه إلينا من علم ومعرفة، اللهم إلا هذه الإشارة العابرة إلى أن دور العرب، لا يتعدى دور ساعي البريد، الذي نقل إليهم التراث اليوناني".
إن هذه الشهادة كافية إلى حد ما بدعوة أوروبا والغرب عموماً إلى رد الجميل من جهة، وإلى رد الدين الذي عليها للحضارة العربية الإسلامية. التي لطالما تغنى بها علماء ومستشرقو الحضارة الغربية بصنفيهم في أكبر محافلهم العلمية ولعالمية.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

1) أنور عبد العليم، ابن ماجد الملاح، إعلام العرب، القاهرة، ط1967، ص: 106.

مراجع البحث:

القرآن الكريم

أنور عبد العليم، الملاحه وعلوم البحار عند العرب، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1979، ع13.

عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، مطبعة الكشاف، بيروت، ط حسن إبراهيم حسن، تاريخ السلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، 1964، ج1. صبحي الصالح، النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، ط1965.

محمد فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية، ج1.

أنور عبد العليم، ابن ماجد الملاح، إعلام العرب، القاهرة، ط1967.
Periplus maris erythraei in C. Muller's Geogr. Graeci Minores. Vol.1